الزهور

الجزء العاشر　　اول دسمبر (كانون الاول) ١٩١٠　　السنة الاولى

هنري دونان

مؤسس جمعية الصليب الاحمر

نعت انباء البرق في الشهر الفائت شيخاً جليلاً ورجلاً عظيماً كادت الايام تنسج حوله عناكب النسيان ، مع انهُ جديرٌ بان يبقى حياً في القلوب والاذهان . وافاه أجله في احدى قرى سويسرا في شيخوخة صالحة بعيداً عن ضوضاء هذه الحياة بعد ان جاهد فيها جهاد الابطال

هنري دونان هو اسم رجل تجهله عامة الناس ، مع انهُ اهلٌ لان يكتَب بماء الذهب في سجلّ المحسنين الى الانسانيـة . هو اسم رجل كبير النفس والقلب ، سامي المرمى رفيع المبدا . له على ابناء جنسهِ الاياذي البيضاء ، فقد بذل في سبيلهم كل غالي ونفيس ليخفف عنهم وطأة البلاء والشقاء . كيف لا وهو مؤسس جمعية الصليب الاحمر ذات المواقف المعروفة في ساحات القتال ومساعدة المجروح على تضميد جرحه وتعزية نفسهِ

وُلد هنري دونان سنة ١٨٢٨ في جنڤا من عائلة عُرفت بالوجاهة

والثروة ، ومال منذ نعومة اظفاره الى اعمال البرّ والعطف على الانسان . وكانت له يدٌ تذكر في مقاومة الرقيق . ولم تلبث قصص الحروب والمرويات عن المعارك واهوالها ان وجهت منهُ النظر الى حالة الجرحى وما يقاسون في ميدان الكفاح . وفي سنة ١٨٥٩ لما استعرت نار الحرب بين النمسويين والفرنسويين ذهب بنفسهِ الى ساحات القتال ليدرس كيفية امكان مساعدة الجرحى ، وحضر معركة سولفرينو Solférino التي اشتبكت بين المتقاتلين في الرابع والعشرين من شهر يونيو (حزيران) من تلك السنة . وعند المساء اخذ يطوف ساحة الحرب . فنظر هناك عدداً كبيراً من من الجرحى مخضبين بدمائهم يئنون وينوحون ويستغيثون ويستنجدون ، ولكن لا مغيث ولا منجد . فأثر هذا المشهد في فؤاده اي تأثير ، وخفق قلبهُ لهول ما رأت عيناه ، وقال ما قاله غيره « قوتل الانسان ما اعظم شرّه . كيف يقدم على الفتك بأخيه الانسان ؟ » فجمع حوله بعض المتطوعين وباشر للحال مساعدة الجرحى المتروكين

ومن ذاك الحين اخذ يدرس ويبحث ويطالع ، فدخل في اعماق النفس البشرية ، فوجد ان الحرب مرض الانسانية وعلتها الكبرى . فوقف وقفة المداوي الخبير . فرأى ان هذه العلة صعبة الاستئصال ، وان شفاء هذا المرض العضال ضربٌ من المحال . فقال في نفسهِ : اذا كان ليس في الامكان ايجاد داء لحسم هذا الداء فلنخترع له مسكّناً يخفف آلامه

وآلى على نفسهِ ان يفرغ جهده ويكرّس حياته في سبيل هذا المشروع العظيم ، فكتب مقالة عنوانها « ذكرى سولفرينو » يدعو بها

الشعوب المتمدنة الى الاتفاق على تأليف جمعية دوَلية تجمع الاحسان لمساعدة الانسان المجروح من يد الانسان . فكان لمقالتهِ تأثير عظيم في النفوس ، ووقعت من الجميع موقع الاستحسان . ولكنَّ صداها ما لبث ان خفت ، كما ان تأثيرها ما عتم ان زال من القلوب . ففهم دونان ان مثل هذا المشروع يقتضي جدًّا طويلاً وسعياً مستمراً ، فاخذ يزور العواصم الكبرى ، ويخطب في المجالس والاندية حتى وضع اساساً لعمله وقاعدة لمشروعه

وكان الوقع الاكبر لصوته ، والنهضة العظمى وراء دعوته في عاصمة فرنسا حيث لاقى دونان كل مساعدة ومؤازرة . واول من مدَّ اليه يد المعاونة جريدة « الديبا » حيث اخذ الكاتب الشهير سان مارك جيراردن ينشر المقالات الشائقة في هذا الموضوع . وحذا حذوه غيره من الكتّاب في سائر البلاد ، فانتشرت الفكرة انتشاراً بعيداً ، ولم يمضِ إلاَّ القليل حتى تمَّ تأسيس جمعية الصليب الاحمر واصبحت مطمح انظار الجميع . فانتظم في سلكها كل عظيم وشريف ، منهم : غيزو ورنان وروايه كولار وده لسبس ومدام ستايل وغيرهم . وفي ٢٦ اكتوبر من سنة ١٨٦٣ اجتمع الاعضاء لاول مرّةٍ في مدينة جنفا ، وفي السنة التي بعدها عُقد في المدينة نفسها مؤتمرٌ عام أرسلت اليه جميع الدول معتمدين يمثلونها لتقرير قانون الجمعية الدوَلية العامة لمؤاساة جرحى الحروب

وعلى هذه الكيفية كان تأسيس جمعية الصليب الاحمر التي وقفت نفسها من ذلك الحين على خدمة الجرحى ومساعدتهم على اختلاف

المذاهب والجنسيات ، تخففت شيئاً من اهوال الحروب وقللت من بلاياها ونشرت راية السلام فوق نيران المدافع وبريق البواتر

ولا تسل عن فرح دونان وغبطته عندما رأى مشروعه مكلَّلاً بالنجاح ، فعدَّ نفسه سعيداً ورأى ان مهمته قد انتهت فاعتزل العالم وعاش منفرداً في احدى القرى حتى كاد يصبح نسياً منسياً مع ان اسم جمعيته طبَّق الآفاق ، وذكر مآثرها ملأَ الاسماع . فلا يذكرها احدٌ الا بالثناء والاحترام . وأمام شارتها المعروفة يسكت المدفع ، ويُغمد السيف ، ويبسط ملاك الرحمة جناحيهِ على ضحايا البشرية

ولكن صاحب الفضل ينال ثوابه . ففي سنة ١٩٠١ نال هنري دونان الجائزة التي وضعها العالم الاسوجي الفرد نوبل للذين يمتازون بخدمة الانسانية إن بعلمهم او كتاباتهم او مشروعاتهم الخيرية . فكان له فيها مسدٌّ لحاجتهِ

هذا هو الرجل الذي نعاه البرق في الشهر الماضي فلم تدبّج القصائد في رثائه ، ولم تفض الصحف في تعداد مآثره ، مع انه في طليعة من خدموا الانسانية جمعاء

فأكرم بمثل هؤلاء الرجال الذين تجب كتابة اسمائهم على صفحات القلوب اقراراً بفضلهم واعترافاً بجميلهم . ولينم هنري دونان سعيداً في ضريحه فان قلوب الالوف من الذين تؤاسيهم جمعيته يباركون اسمه ويستمطرون الغيث على ثراه